موقف علماء الأنثروبولوجيا من الإسلام
(دراسة نقديَّة)

دكتورة/ بدريه بنت جارالله الشمري
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
جامعة حائل

المستخلص :

يهدف هذا البحث إلى دراسة موقف علماء الأنثروبولوجيا من الإسلام ويتناول التعريف بالأنثروبولوجيا ونشأتها وعلاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار ثم يتناول موقف بعض علماء الانثروبولوجيا من الإسلام ومنهم كلود ليفي ستروس(Claude Lévi-Strauss) من خلال التعريف به وموقف كلود ليفي ستروس من الإسلام، وذلك من خلال كتابه كتاب مداريات حزينة و نقد موقفه من الإسلام . ثم يتناول العالم آرنست غيلنر(Ernest Giellner) والتعريف به و موقف آرنست غيلنر من الإسلام، من خلال كتابه مجتمع مسلم. ثم يعرض لكليفورد غيرتز (Clifford Geertz) والتعريف به و موقف كليفورد غيرتز من الإسلام ونقد موقفه من الإسلام.

وقد توصل البحث لنتائج منها : أن علم الإنثروبولوجيا ويعني دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً و يعتبر القرن الثامن عشر هو النشأة الحقيقة لعلم الإنثروبولوجيا وهو من العلوم المهملة على الساحة العربية و كلود ليفي ستروس و كليفورد غيرتز: واللذان يظهران العداء للإسلام وآرنست غيلنر: وهو أقل عداءً من سابقيه. ويوصي البحث بإجراء البحوث العلمية حول هذا الموضوع و إنشاء مركز دراسات خاصة بالأنثروبولوجيا وإنشاء مكتبة توفر فيها كل ما يخص هذا العلم وإنشاء قسم خاص في الجامعات لدراسة هذا العلم.

Abstract :

This research aims to study the position of anthropologists on Islam and deals with the definition of anthropology and its emergence and the relationship of anthropology to colonialism. Sad orbits book and criticism of his position on Islam. Then the scholar Ernest Giellner deals with and introduces him and Ernest Gellner's position on Islam, through his book A Muslim Society.

Then he presents to Clifford Geertz and introduces him and Clifford Geertz's position on Islam and critiques his position on Islam.

The research reached results, including: that anthropology means the study of human beings naturally, socially and civilized. The eighteenth century is the true emergence of anthropology, which is one of the neglected sciences in the Arab arena, and Claude Levi-Strauss and Clifford Geertz: which show hostility to Islam and Ernst Gellner: which is less hostile. from his predecessors. The research recommends conducting scientific research on this subject, establishing a center for special studies in anthropology, establishing a library that provides everything related to this science, and establishing a special department in universities to study this science.

التمهيد:

المطلب الأول: التعريف بالأنثروبولوجيا:

يعرف علم أنثروبولوجيا بأنه علم دراسة الإنسان من الجوانب الطبيعية والاجتماعية والحضارية ومكون من كلمتين يونانيتين هما: Anthropos وتعني إنسان، وLagos وتعني علم، وتعنيان علم الإنسان[١]، وبترجمته إلى اللغة تبين أنها غير علمية؛ لأنها تسمية غير دالة، ولهذا السبب العملي آثر علماء الأنثروبولوجيا العرب الإبقاء على تسمية العلم كما هو دون ترجمة فضلاً عن أن هناك علوم أخرى كثيرة تدرس الإنسان؛ كالتاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والبيولوجيا الإنسانية، وغيرها من العلوم[٢].

وعلم الأنثروبولوجيا علم يهتم بوصف الخصائص الإنسانية، والبيولوجية والثقافية، للبشر عبر الزمان والمكان، وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ودراسة وبحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، ويحلل ويدرس الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كأنساق مترابطة ومتغايرة، من خلال مقاييس ومناهج متطورة، لربط وتفسير نتائج هذه الدراسات في إطار نظريات التطور، أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر..."[٣].

ويطلق على علم الأنثروبولوجيا بمسميات أخرى، منها:

- علم الإناسة؛ العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية القادر على صنع الثقافة وهوم ما يميزه عن غيره من جهة أخرى.
- علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها.
- علم الحضارات والمجتمعات البشرية[٤].

المطلب الثاني: نشأة الأنثروبولوجيا: لقد كان الإنسان موضوع الدراسة والتأمل ولازال، منذ القدم لاحظ الإنسان الفروق القائمة بين مختلف الشعوب، وسعى إلى إيجاد تفسير لتلك الاختلافات، وفي إطار هذه الاهتمام تطورت الدراسات حتى نشأ علم الأنثروبولوجيا[٥].

---

١ قاموس الأنثروبولوجيا، شاكر مصطفى سليم، ص٥٦.

٢ علم الأنثروبولوجيا Anthropology ماهيته والانتقادات الموجهة إليه، أحمد إبراهيم خضر، شبكة الألوكة http://www.alukah.net/web/khedr

٣ قصة الأنثروبولوجيا، حسين فهيم ، ص١٥.

٤ ينظر: مدخل إلى علم الإنسان الانثروبولوجيا، عيسى الشماس، ص٨ .

٥ ينظر: قصة الأنثروبولوجيا، حسين فهيم، صـ ١٣.

ويرى الإنثربولوجيون الأوروبيين أن الأصول النظرية الأساسية لعلم الأنثروبولوجيا ترجع إلى عصر التنوير في أوروبا، بالرغم من بداية تاريخ الأنثروبولوجيا تعود إلى العصور القديمة، فقد تمت كشف المعلومات التي أشارت إليها الكشوفات الجغرافية والثقافية لمجتمعات خارج أوروبا إلى تغيرات جذرية في الاتجاهات الفلسفية السائدة في تلك الفترة[١].

وتبلورت الأنثروبولوجيا كدراسة متخصصة ومستقلة عن الفلسفة الاجتماعية، في القرن التاسع من خلال التغيرات الجوهرية التي ظهرت في دراستها، موضوعاتها ومناهجها وأخذها بالمنهج التطبيقي باعتبارها ظاهرة علمية، وإغفالها المنهج النظري تأثيرها وتأثرها بمنظومة العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى[٢].

وما سبق يتضح أن بدايات الجذور التاريخية الحقيقية للأنثروبولوجيا هي القرن العشرين، التي وذلك بظهور علماء الأنثروبولوجيا، السالفين الذكر من خلال مدارسهم ومؤلفاتهم التي ساعدت في نمو وتطوير هذا العلم.

ثمة قضية معينة هنا، وهي أن علم الاجتماع والأنثروبولوجيا علمان متقاربان متشابهان، بحيث لا يمكن للباحث الفصل أو التمييز بين هذين العلمين. لدرجة تقاربهما، لذلكَ فإن من الأنسب تعيين نقاط الاختلاف بين هذين العلمين لمعرفة اتجاه كل من هذين العلمين في الدراسات الاجتماعية[٣].

المطلب الثالث: علاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار.

يعتبر الاستشراق والتنصير المصدر الأول للبدايات التأملية الأنثروبولوجية في الشرق الأوسط، لذلك نجد من يربط بين الاستشراق والأنثروبولوجيا ليس في النشأة بل في المادة التي اعتمداها، ثم في أنهما علمان استعماريان أو نشأ في مرحلة الاستعمار ولخدمته[٤].

لذلك يعتبر علم الانثروبولوجيا ابناً للاستعمار، فقد ساعدت نتائجه الإدارة الاستعمارية في فهم عادات الشعوب التي حكموها، وأساليب حياتها، فالاستعماريون لم يكونوا على علم بالثقافات المختلفة للشعوب الأخرى، وتولى علماء الأنثروبولوجيا دراسة ثقافات الشعوب غير الغربية، فكلما زاد فهم الاستعماريين لثقافة المحكومين كلما زاد فهمهم لنقاط القوة والضعف وبالتالي تسهل سيطرتهم على الشعوب، فدراسة الشعوب

١ ينظر: مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، عيسى الشماس، ص٤.

٢ ينظر: مدخل إلى علم الإنسان، عيسى الشماس، صـ ٤.

٣ المصدر السابق نفسه.

٤ ينظر: الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية، رضوان السيد، ص١٠٦.

غير الغربية لم يكن الدافع منها إنتاج المعرفة لذات المعرفة ولكنها لتزويد الاستعماريين بوسائل لاستغلال الأمم غير الغربية، فاستخدم الاستعماريون مفاهيم العرقية والدين والثقافة استخداماً جيداً من الناحية السياسية، فقاموا بضرب مجموعة عرقية بأخرى دون أن يدخلهم ذلك في معارك[1].

كما يرى البعض في الوطن العربي أن الانثروبولوجياً يعرف بمصطلح (التثاقف) هو نظرة تطورية داروينية للثقافة تفترض التخلف في حضارات وثقافات الشعوب، ومن خلال الاستعمار يتم فرض ثقافة الدارس على الشعوب المستضعفة بحجة نقلهم من التخلف إلى التمدن والحال أنها ليست سوى سياسة استعمارية هدفها تثبيت وتجذير الاستعمار، والتي مازالت أغلب البلدان العربية والإسلامية تعاني من تبعاته حتى اليوم، التثاقف التغريب، أو العصرنة، أو التجديد، أو أي مصطلح يجعل من الثقافة الغربية مثالا يستوجب المحاكاة [2]"

كلود ليفي ستروس(Claude Lévi-Strauss)

المطلب الأول: التعريف به:

كانت أعمال ليفي ستروس وتعليمه لها أثر بالغ الأهمية في مجال علم الإنسان والتحقيق الإثنولوجي الميداني٣. الذي ولد ليفي ستروس في عام ١٩٠٨م، وتوفي في العام ٢٠٠٥م، بدأ بدراسة الفلسفة وتوجه إلى البرازيل لدراسة علم الاجتماع نتيجة لخيبة أمله بعد دراسته للنظريات المجردة البعيدة عن الواقع الاجتماعي ، ثم عاد إلى فرنسا سنة ١٩٤٨م قدم دراسة عن القضايا النظرية للقرابة، وتم اختياره كأستاذ في كوليج دو فرانس سنة ١٩٥٩م، وبعد مارسيل موس وشغل كرسي الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وتنوعت مؤلفات ليفي وكتابات ما بين عشرات الكتب والمقالات في شتى المجالات، من ذلك كتاب الآفاق الحزينة، والذي كان ترجمة لحياته العلمية في مختلف الثقافات والشعوب.

- كتاب الأنثروبولوجيا البنائية.
- كتاب الفكر المتوحش.
- الطوطمية اليوم.

---

١ ينظر: صراع الغرب مع الإسلام، مازن مطبقاني، ص١١٦.

٢ ينظر: علم الاجتماع الاستعماري الأنثروبولوجيا نموذجاً، منتدى التوحيد، على الرابط: http://cutt.us/ZjYA

٣ ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الرابط: http://cutt.us/ksjll

وينظر كذلك: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري على الرابط: http://www.elmessiri.com/encyclopedia/MAIN.HTM

- كتاب طريق الأقنعة[1].

المطلب الثاني: موقف كلود ليفي ستروس من الإسلام، وذلك من خلال كتابه كتاب مداريات حزينة (عرض ونقد).

أولاً/ عرض الكتاب:

وفي هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن رحلاته الاستكشافية فيما بين عام ١٩٣٤ و ١٩٣٩م، وشيء عن رحلته إلى الهند في أوائل الخمسينات، وقد صدر كتابه مترجماً لأول مرة في عام ١٩٥٥م.

كتب كلود ليفي ستروس نص المداريات بلغة منمقة وأسلوب شاعري وجميل، ولكن المتفحص فيه يجد الحقد الدفين وخصوصاً على الإسلام خلف كلماته، فكتاباته تجمع بين حديثه عن سيرته الذاتية والتأمل الفلسفي والبحث الأنثروبولوجي، وتميزت مؤلفاته عن الإسلام بالأسلوب المباشر والتقريري، وتصريحاته عن الرافضة لكل ما فيه من معتقدات أو طقوس[2].

ثانياً/ نقد موقفه من الإسلام:

١. من خلال قراءتي لما كتبه ستروس ساورني شعور أنه كتب عن الإسلام بلغة الاستعلاء وتهميش الآخر والتقليل من شأنه، خصوصا عندما ينعت نفسه بـ"سائح حصيف!!"[3]،
٢. كذلك التعميم في الحكم، وعدم الحياد والموضوعية هو يتحدث وينتقد الإسلام من خلال زيارته لمنطقة واحدة الهند وباكستان لفترة قصيرة، وهذا أمر غير منصف، خصوصاً وأن الهند بلد غير عربي، فالمسألة نسبية لا يجوز تعميمها على كل البلدان الإسلامية.
٣. وصف الإسلام بالانغلاق ورفض الآخر وهيمنة الفكر الذكوري.

وتحدث ليفي عن الإسلام باستعلاء، ووصف الإسلام بالانغلاق ورفض الآخر والعنف من خلال ربطه ما بين البرقع وتحريم الكشف عن جسد المرأة والاختلاط الجنسي، وبين النزوع إلى الانعزال عامة، واحتكار الذكر لكل الأماكن الانغلاق ورفض الانفتاح على الآخر الغربي وثقافته، وهو ما أطلق عليه اسماه بالمأساة[4].

---

١ ينظر: أعلام الفكر الاجتماعي والإنثربولوجي الغربي المعاصر، محمود أبو زيد، ص ١٠٥.

٢ إثنولوجيا الإسلام في مداريات حزينة لكلود ليفي ستروس، لطفي بوشنتوف، ٦ أكتوبر ٢٠١١، مجلة رباط الكتب الإلكترونية على الرابط: http://cutt.us/WzEj

٣ مداريات حزينة، صـ٤٩٦.

٤ ينظر: إثنولوجيا الإسلام في مداريات حزينة لكلود ليفي ستروس، لطفي بوشنتوف، ٦ أكتوبر ٢٠١١، مجلة رباط الكتب الإلكترونية على الرابط:http://cutt.us/WzEj

أما اتهامه للإسلام بالانغلاق ورفض الآخر، ويقصد بذلك رفض المسلمين الانفتاح على الغرب!! أقول أن هذا كذب وافتراء، فالإسلام دعا إلى الانفتاح والتسامح مع الآخرين، والتعايش معهم لكم دينكم ولي دين، وليس أدل على ذلك من الأحكام في الشريعة الإسلامية والتي تضبط التعامل مع غير المسلمين، والله تعالى عن ظلم حتى المخالفين لنا، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. المائدة [٨]

وواقع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده لهو أكبر دليل على رقي الإسلام في تعامله مع الآخر أياً كان هذا الآخر، فالنبي عليه السلام تعامل مع اليهود وقد توفي عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي[١]، كما أنه عليه السلام في مواقف كثيرة أخذ بتجارب مستوردة من الثقافات الأخرى لما فيه من الفائدة للإسلام والمسلمين، من ذلك ما حدث في غزوة الخندق عندما أشار الصحابي سلمان الفارسي بحفر الخندق والذي لم يكن معروفاً مثل هذا الأمر عند العرب[٢]، فأخذ به النبي عليه السلام ونصر الله المسلمين في تلك الحرب، وهذه رسالة الإسلام التي جاء بها، جاء بقواعد العدل والإحسان التي تقوم عليها المجتمعات بغض النظر عن الأجناس البشرية، فجعل للمعاهد حق، وللذمي حق، بل إن الله خلق الخلق للتعارف والتعامل في كل ما فيه خير للبشرية، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.الحجرات [١٣]

وأما الناظر في عهد الخلفاء الراشدين فسيجد فيها صوراً عديدة من الانفتاح، مثل نظام الدواوين أخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن بلاد فارس[٣]، ذلك أن كلمة ديوان فارسية كما هو معلوم لدى الجميع، وغيرها كثير لو كتبنا فيها لطال بنا المقام، ولكن الحاصل من ذلك أن الغرب مرادهم إسقاط المجتمع الغربي على المجتمعات الإسلامية، فننحل أخلاقياً وننحرف فكرياً ونضيع دينياً نسأل الله الثبات.

أما نقده للحجاب والبرقع، وأنه هيمنة ذكورية وغيره، أقول إن الله تعالى أحكم وأعلم، والحجاب عندما فرضه الله تعالى فإنما لحكمة هو يعلمها سبحانه، فهو اتباع لأمر الله تعالى وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم، لذلك فلا مجال للخيار أو الجدال حول أمر فرضه

١ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ماقيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث(٢٩١٦)، ٤١/٤.

٢ ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر، ٣٩٣/٧.

٣ ينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن أبي شيبه، كتاب الأوائل، باب أول مافعل ومن فعله، رقم الأثر(٣٥٧٨٨)، ٢٥١/٧.

الله علينا، قال تعالى: " وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ"النور [٣١]

ويقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾الأحزاب [٥٩]

ثم يعود إلى لغة الاستعلاء ويتهم الإسلام بأنه سبب الخراب المشاهد، فعلى الرغم من ضخامة العمارة الإسلامية وفخامتها وجماليتها في شبه القارة الهندية إلا أن ذلك كله لم يلامس حس ستروس، ولكنه وصفها بعدم الانسجام والرتابة بسبب رفض المسلمين للفنون التشكيلية!! فما رآه حرك لديه الإحساس بالضيق لأن عنصراً هندسياً في نظره غير موجود. ثم يرجع ذلك إلى ما قالته سيدة انجليزية متزوجة من مسلم يدير معهدًا للفنون الجميلة أن الموسيقى كانت تدرس في السرية، النحت كان محرما، عدم السماح إلا لعدد قليل من النساء بمتابعة دروس الفنون الجميلة.[١]؛ مما يؤكد فكرة هيمنة التمييز الذكوري والاضطهاد الأنثوي في المجتمع الإسلامي وهذا غير صحيح، فالمشكلة ليست في الإسلام إنما فيمن يعتنق الإسلام، فإذا كان هناك أشخاص تشوه صورة الإسلام فلماذا تعمم الفكرة على بقية المسلمين وتنسب إلى الإسلام.

٤. يتضح جلياً استخدامه أسلوب التهكم والسخرية مما يدل على عقلية ساذجة، وذلك في صور منها :

الصورة الأولى: حين تساءل عن وظيفة الأبنية العالية والتي وجه لها انتقاد واعتبر أن المسلمين لم يشيدوا في هذه البلاد من المآثر الكبرى سوى الحصون والمعابد والأضرحة، قصورهم أشبه بالحصون العسكرية، مساجدهم وأضرحتهم الخالية والمهجورة أقرب ما يكون من القصور، اختبر ليفي في مفارقته هذه العقبات التي وضعها الإسلام في تفكر الوحدة والعزلة، واعتبر ليفي الاسلام في رأيه بالميت الذي يستقر دائما وسط الجماعة بدون أصدقاء.[٢].

شهد التاريخ الاسلامي أرقى الحضارات الاسلامية في الهند على المسلمين أنفسهم، كان عظيم في هذا المجال، من حيث ما تم أنشأوه من آلاف المساجد في فن المعمار، أو ما أسهموا به في العلوم الإسلامية المختلفة، التراث الإسلامي في الهند كتاب مسلم الثبوت في أصول الفقه" لمحب الله بن عبد الشكور وكتاب (كنز العمال)

١ إثنولوجيا الإسلام في مداريات حزينة لكلود ليفي ستروس، لطفي بوشنتوف، ٦ أكتوبر ٢٠١١، مجلة رباط الكتب الإلكترونية على الرابط:http://cutt.us/WzEj

٢ ينظر: إثنولوجيا الإسلام في مداريات حزينة لكلود ليفي ستروس، لطفي بوشنتوف، ٦ أكتوبر ٢٠١١، مجلة رباط الكتب الإلكترونية على الرابط: http://cutt.us/WzEj http://cutt.us/jVJWD

للشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانغوري، وكتاب (العباب الزاخر) للإمام حسن بن محمد اللاهوري، وكتاب (الفتاوى الهندية) جامع العلوم، وحجة الله البالغة، للإمام ولي الله الدهلوي، وهو من أعظم الكتب في الحضارة الإسلامية[1].

الصورة الثانية: عندما شاهد طقوسا غير مقبولة في نظره تمارس في المسجد الجامع بدلهي. حيث أروه مقابل أربعمائة فرنك، النسخ الأقدم للقرآن الكريم ونعال الرسول وشعرة من لحيته مثبتة بقرص من الشمع داخل علبة مزججة ومعطرة[2].

١. قضية أن ما رءاه هو شعر النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أمر لا أصل له، وليس عليه أي دليل يثبت صدقه، وليس من الجائز عقلاً أن يكون هذا الشعر باقٍ لم يبلَ على مر هذه العصور.

٢. التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم فجائز في حال حياته، فقد ثبت أن الصحابة رضوان الله عليه قد تبركوا بآثار النبي، و وافقهم النبي على ذلك، منها: شربهم من القدح الذي شرب منه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وردت أحاديث صحيحة في ذلك[3]، كذلك ما روي أن أسماء بنت أبي بكر كانت تغسل جبة للنبي عليه السلام للاستشفاء بها[4]، وغيرها من الروايات، وذلك لأن النبي عليه السلام كان مباركاً وهذا الأمر خاص به عليه السلام في حياته، " أما كون هذه الآثار باقية من عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم– فليس هناك دليل صحيح متواتر يدل على ذلك، والله أعلم"[5].

أقول إن مثل هذه العينات التي تشوه صورة الإسلام لا ينبغي اصطحابها ومن ثم تعميم هذه الفكرة على جميع المسلمين، فالمنافقون موجودون منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فاليهودية والنصرانية وغيرها من الديانات كثير من أتباعها يخالف ما فيها من أحكام ومعتقدات، فلماذا يؤخذ مثل هذا الأمر على المسلمين فقط ويتهمون باتهامات تنسب للإسلام، ولكنه ديدن المصطادين في الماء العكر.

٥. صرح ستروس بحيرته حول معنى الإسلام من خلال رحلته القصيرة في الهند وباكستان ليعمم حيرته تلك دون مبررات علمية على الإسلام برمته دينا ومجتمعا وحضارة، والحال أن المعرفة العلمية بهؤلاء حسب المنهج البنيوي الإناسي الذي

---

١ من حضارتنا في الهند، حسن مؤنس، موقع إسلام ويب على الرابط: http://cutt.us/GFUS

٢ ينظر: إثنولوجيا الإسلام في مداريات حزينة لكلود ليفي ستراس، لطفي بوشنتوف، ٦ أكتوبر ٢٠١١، مجلة رباط الكتب الإلكترونية على الرابط: http://cutt.us/WzEj http://cutt.us/jVJWD

٣ ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي صلى الله عليه وسلم وآنيته، ١١٣/٧.

٤ ينظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب اللباس والزينة، بَابُ تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى الرَّجُلِ، وَإِبَاحَتِهِ لِلنِّسَاءِ، وَإِبَاحَةِ الْعَلَمِ وَنَحْوِهِ لِلرَّجُلِ مَا لَمْ يَزِدْ عَلَى أُرْبَعِ أَصَابِعَ، رقم الحديث(٢٠٦٩)، ١٦٤١/٣.

٥ التبرك بآثار النبي _صلى الله عليه وسلم_ بعد موته، شبكة المسلم على الرابط: http://www.almoslim.net/node/٥٣٩٧١

أسسه ستروس نفسه، تقتضي ضرورة الإقرار بتنوع التطورات التاريخية اللامتناهي التي يتكون بها هذا العالم في كل حاله، فَلِمَ غابت هذه الأمور حين اللّقاء بمسلمي شبه القارّة الهنديّة؟[1].

٦. أما قوله أن النبي صلى الله عليه وسلم له زوجات كثر وملتح ومحب للحرب ومبشر، فهذه من شبه المستشرقين التي يتشدقون بها في كل محفل، فالرسول صلى الله عليه وسلم بشر مثل بقية البشر، ونبي مثل بقية الأنبياء، وعدّد كما عدد غيره من الأنبياء فليس بدعاً في هذا، ولتعدد نساء النبي حكم ومواعظ منها:

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتزوج باختياره، بل كان يزوجه ربه لحكمة قد يبدو لنا منها طرف، وقد لا يبدو منها أطراف أخرى، والقضية عند المسلمين قضية إيمان بأنه رسول لا ينبغي له أن يعارض ربه، كما أنه لو أمعنّا النظر في سيرة رسول الله وخاصة في مرحلة ما قبل زواجه لوجدنا أنه كان مثالاً في العفّة والطهارة في شبابه[2]، فالقضية أكبر من كونها شهوة وفحولة وغيرها من سفاسف شبهاتهم.

أما وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه ملتحي، فهذا شرف ومزية للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل مسلم، وكونه ينبز النبي الكريم باللحية فهذا أمر لا غرابة فيه على أعداء الإسلام، وإعفاء اللحية من سنن الإسلام، ذلك أنها مخالفة للمشركين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ"[3]

وأما اتهامه بأن النبي صلى الله عليه وسلم محب للحرب، فهذا افتراء جانب الحق، فقد عُرِف عن النبي صلى الله عليه وسلم اللين والرحمة والعطف والأدب والعدل حتى مع أعداءه، ولو كتبنا في هذا الموضوع لطال بنا المقام، ، وقد وردت مواقف كثيرة تبين أن النبي عليه السلام يكره أن يقتل أحداً، فعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي –صلى الله عليه وسلم– فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– :" أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟! " قال: قلت : يا رسول

---

١ ينظر: مائويّة كلود لفي–ستروس (٩) المداران الحزينان: بكائيّة الهنود الحمر وصدمة اللّقاء مع الإسلام، الجمعة ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٨، محمد الحاج سالم، صحيفة الأوان الإلكترونية على الرابط:http://alawan.org/article٣٢٦٣.html

٢ ينظر: المرجع السابق.

٣ صحيح مسلم ، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم الحديث(٢٦٠)، ٢٢٢/١.

الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال:" أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا "، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ[١].

أما قوله بأن الإسلام يحطم الأصنام، فهذا مما جاء به الإسلام والذي قام على محاربة الشرك بشتى أنواعه وصوره، بل ويأمر بإزالتها عند المقدرة على ذلك، ومن أهم الشواهد على ذلك ما فعله أبو الأنبياء، وإمام الحنفاء الخليل إبراهيم –عليه السلام– من تحطيمه لأصنام قومه، وقصته في سورة الأنبياء، وسورة الصافات، وهذا لا يمكن لمؤمن أن يستهزئ به، فقد بقي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في مكة والأصنام تعبد حول الكعبة، ثم هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم اعتمر صلى الله عليه وسلم في العام السابع من الهجرة عمرة القضية وطاف حول الكعبة والأصنام على حالها، وفي العام التالي فتح الله عليه مكة ، فكسر الأصنام، وأزال مظاهر الشرك[٢].

ادعاءه خطر الإسلام على الحضارة الفرنسية، يقول:" إنني أعرف سبب مضايقتي من الإسلام حيث أجد فيه عالمي الأصلي الإسلام هو غرب الشرق[٣]، نستمد سلوكنا من الكتب ولنا قناعة بأنه يكفي أن نحل مشاكلنا على الورق لكي نتخلص منها لا أقبل هذه الصورة التي تضطرني إلى الاعتراف بتأثير الإسلام على الفكر الفرنسي"[٤].

وهذا ليس بجديد على أعداء الإسلام، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي فقد نشر الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون كتابين عبر فيهما قلقه من الإسلام والمسلمين بعنوان (نصر بلا حرب) والأخر بعنوان (انتهزوا الفرصة)علي الولايات المتحدة أن تعمل وبسرعة على الإمساك بما أسماه بالريادة الروحية في العالم، وأن تعمل على عدم السماح لنماذج "التشدد الإسلام[٥].

وتضمن هذا الكتاب، موقف ستروس من الإسلام والمسلمين. فعلى الرغم من إنصافه لكل معتقدات وحضارات الشعوب التي درسها، ولاسيما الهنود الحمر والقبائل التي عاش معها في الشرق والبرازيل، إلا موقفه السلبي والقاسي على حضارة الإسلام والمسلمين، التي التقى معها في باكستان والهند، ففي كتابه (المداران الحزينان) يبين ستروس أن المسلمون في الهند لم يشيدوا سوى المعابد والقبور. حتى القبور على الرغم من فخامتها وضخامة أحجامها إلا أن الميت يبدو فيها أسيراً ومحاصراً، وهذه صورة

---

١ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم الحديث(٩٦)، ١/٩٦.

٢ ينظر: حكم تحطيم الأصنام، مركز الفتوى، إسلام ويب على الرابط: http://cutt.us/eAQ٢٣

٣ الطوباوية تعني نزعة في الحكم أو الحياة إلى مثل أو مبادئ لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع، للاستزاده ينظر موقع المعاني على الرابط: http://soo.gd/wCUk

٤ النص محذوف من الترجمة التي بين يدي، وجدت المحذوف في مقال عسل ورماد عن مئوية ليفي ستروس، الدكتور محمد البرهان، ٢٥ فبراير ٢٠١٢م، جريدة هسبريس الإلكترونية على الرابط: http://www.hespress.com/writers/٤٨٣٥٢.html

٥ ينظر: مقال هل يشكل الإسلام خطرا على الغرب؟، عبدالله النفيسي، موقع المقالات إسلام ويب، على الرابط: http://cutt.us/x٤VWc

يمكن أن تعبر عن الحضارة الإسلامية ككل، فهذه الحضارة تعويضية، إن الإسلام يعيش حالة أزمة دائمة، وتبدو مشكلة المسلمين من وجهة نظر ستروس، أنه وعلى الرغم من اعترافهم بقيم الحرية والمساواة والتسامح، إلا أنهم يؤكدون بالاندفاع نفسه بأنهم هم وحدهم من يمارسها، ويفسر بعض الكتّاب هذه (اللا موضوعية) الموجودة في نظرة ستروس للإسلام، بأنها تعود إلى مخاوفه من أن تتحول فرنسا إلى (بلاد مسلمة)[١].

آرنست غيلنر (Ernest Giellner)

المطلب الأول:التعريف به: يعتبر آرنست غيلنر المنظر البارز للحداثة، وسلالة نادرة بين علماء أواخر القرن العشرين، وقدم إسهامات كبيرة في مجالات متنوعة، منها الفلسفة والأنثروبولوجيا بجميع مجالاتها، وخصوصاً الاجتماعية؛ فقد كانت هجماته شديدة القسوة على معتقدات عصره[٢].

مؤلفاته: ترك غيلنر وراءه الكثير من المؤلفات في مجال الأنثروبولوجيا والفلسفة عامة وفلسفة العلوم الاجتماعية خاصة، ومن بين تلك المؤلفات:

- " القومية والقوميات".
- " العقل والثقافة".
- " الأنثروبولوجيا والسياسة".
- " أحوال الحرية"[٣]، كذلك كتاب" مجتمع مسلم"، والذي سوف أتناوله بالعرض والنقد في المطلب القادم بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: موقف آرنست غيلنر من الإسلام، من خلال كتابه مجتمع مسلم.

أولاً/ عرض الكتاب:

يعتبر كتاب مجتمع مسلم (Muslim Society) من الكتب المتميزة والمهمة في مجال أنثروبولوجيا الدين، كما أن مؤلفه فيلسوف ومنظر اجتماعي وأنثروبولوجي معروف له الفضل في دراساته الميدانية عن الإسلام في المغرب، ويكتب عن المجتمعات الإسلامية على خلفية واسعة من المراجع الفلسفية والنظرية والعبر التاريخية[٤]، وقد ترجم هذا الكتاب الدكتور أبو بكر أحمد باقادر، وقام بمراجعته الدكتور رضوان السيد.

---

١ كتاب مئوية كلود ليفي ستروس، كتب خانة على الرابط: http://kenanaonline.com/users/books/posts/١٣٧٦٩٥

٢ ينظر :http://www.lse.ac.uk/researchAndExpertise

٣ ينظر: دفاتر إنثربولوجية – سير وحوارات، عبدالله بتيم، ص٣٧.

ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الرابط: http://cutt.us/R١Q٢b

٤ ينظر: انثربولوجيات الإسلام، سامي زبيدة، ص٥.

والكتاب مقسم إلى اثني عشر فصلاً، الفصل الأول عبارة عن جزء نظري تناول فيه غيلنر دراسة المجتمع الإسلامي من خلال الطريقة التي تم فيها العيش مع الدين، أي أنه اعتمد على سلوك المجتمعات التي تعايش معها ومقارنتها بالديانة المسيحية، واتبع المنهج الوصفي والمقارن والدراسة الميدانية في كتابه، أما الفصول الأخرى فيقدم فيها دراساته التي كان نتاجها الفصل الأول[1].

كما اعتمد في دراسته للإسلام على منهج علم الاجتماع الديني الذي قال به ديفيد هيوم في نظرية التدفق وإعادة التدفق، ويعني التأرجح بين الشرك والوحدانية[2]، كما أنه اعتمد أيضاً على المنهج الوصفي لابن خلدون[3] الرحالة المسلم، واعتمد كذلك في دراسته على حدود مكانية واحدة في منطقة محددة وهي المغرب العربي.

كذلك يظهر جلياً استخدامه للمنهج التحليلي الاستنتاجي، من خلال دراسة العلاقة بين القبيلة والمدينة، ومدى تأثير الدين في كل منهما وتحليل ذلك وفق الظروف المحيطة بكل بيئة، ومن ثم إبراز النتيجة أو الرؤية التي توصل إليها.

ثانياً/ نقد لأهم النقاط التي ظهر فيها موقف آرنست غيلنر من الإسلام:

١. أبدى غيلنر إعجابه بالإسلام، فقد افتتح كتابه بقوله:" الإسلام مسودة لنظام اجتماعي، فهو يفترض وجود مجموعة من القواعد الأزلية، هي قواعد مستقلة عن إرادة البشر وتحدد النظام الصحيح للمجتمع، وهذا النموذج موجود كتابة، وكذلك موجود بشكل منسق ومتساوٍ لدى كل المتعلمين. وهذه القواعد ينبغي أن تنفذ في كل الحياة الاجتماعية"[4].

بهذه المقدمة الجميلة والمنصفة ابتدأ غيلنر كتابه، وما ذكره كان جميلاً بل هو عين الصواب، فالإسلام نظام حياة، جاء لينظم حياة البشرية ويضبطها بضوابط الشرع، ويجعل لها حدوداً لا تتعداها، وفق فطرتها التي فطرها الله عليها، ليعيش الإنسان المسلم بأمن وأمان وسلام واطمئنان في جميع مجالات حياته سواء على الصعيد النفسي أو الاجتماعي أو السياسي وغيره، ومصداق هذا كثير منه قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ.الأنعام [٨٢]

١ ينظر: مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، من ص١٧- ص١٧٤.

٢ ينظر: المرجع السابق، ص٣٢.

٣ ينظر المرجع السابق، صـ ٤٧.

٤ مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، صـ١٧.

فغيلنر يقر بأن الإسلام عبارة عن قواعد منزلة، ومستقلة عن إرادة البشر، وهي التي تحدد النظام الصحيح للمجتمع، خصوصاً وأن هذه القواعد موجودة ومحفوظة ومتاحة لكل فرد مسلم وليست حصراً على طبقة دون غيرها.

٢. المقارنة بين المسيحية والإسلام، يقول غيلنر:" رسمياً ليس في الإسلام رجال دين أو تنظيم كنسي، رغم أنه يحتاج إلى علماء أو باحثين وتتعايش المؤسسة والجماعة المحلية"[١].

ويقول:" اليهودية والمسيحية أيضاً مخططان لنظام اجتماعي، لكن بدرجة أقل مما هو عليه الإسلام.... وهناك شرطان يعمان هذا الانتشار العظيم للإسلام: نجاحاته السياسية السريعة المبكرة، وفكرة أن الرسالة الإلهية كاملة وخاتمة"٢، وهنا يعقد غيلنر المقارنة بين الإسلام والمسيحية واليهودية ليبدي إعجابه بتفوق الإسلام عليهما، فنجده يعترف ويقر بنجاح الإسلام ويعلل ذلك بسببين؛ صعوبة إيجاد البديل للإسلام، والثاني كون الإسلام رسالة إلهية كاملة وخاتمة، وهذا الأمر صحيح لا جدال فيه، فالإسلام هو الدين الخالد الخاتم لجميع الأديان الذي جاء به خير البرية وخاتم الأنبياء رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" الأحزاب [٤٠]، فدين الإسلام ناسخ لما جاء قبله من الأديان وهو الدين الحق إلى قيام الساعة، قال تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. آل عمران [٨٥]

وقال سبحانه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.المائدة [٣].

٣. الإسلام في المجتمع القبلي والمجتمع المدني : ففي المجتمع القبلي الذي يعيش في بيئة صحراوية تطغى على أهلها القبلية من دون إغفال لوجود السلطة الدينية والتي تغلب عليها الصوفية والخرافة والسحر والذي يمثل عائقاً أمام الحداثة والتقدم، أما بالنسبة للدين في المجتمع المدني والذي يعتبر الفقهاء والعلماء العنصر المؤثر فهو شبيه بالبروتستانتية في المجتمعات الغربية والتي أدت إلى انتصار الحداثة والتصنيع، بخلاف المجتمعات التي يهيمن عليها المذهب الكاثوليكي فقد عاشت في تخلف ورجعية، فغيلنر عقد المقارنة بين الإسلام والمسيحية وذلك من خلال جعل الإسلام القبلي مقابلاً للكاثوليكية، والإسلام المدني مقابلاً للبروتستانتية، بالتالي لا

١ المرجع السابق، ص١٧.

٢ المرجع السابق، ص١٨–١٩.

يرى غيلنر في الإسلام المدني خطراً على الحداثة بل يرى أنها هي مفتاح الحداثة والتقدم في المجتمعات الإسلامية، يقول غيلنر:" ومن ثم فإن الإسلام رغم أنه ليس مصدر الحداثة، إلا أنه قد يكون المستفيد منها"[١]، وهذه الفكرة التي عرضها غيلنر غير صحيحة، كيف يكون الإسلام مستفيداً من الحداثة وهو لم يقرها بل يعارضها ويقف ضدها، خصوصاً وأن الحداثة شأنها شأن المصطلحات المستوردة.

٤. الرابطة الاصطفائية من خلال تفسير الصلة الخاصة التي تربط البرجوازية المدينية بالتدين الطهراني، والأخلاقي النصي"[٢]، الكلمات الغير واضحة والغير مفهومة المعنى واجهتني في هذا الكتاب، مثل ما سبق بحثت عن معنى هذا الكلام فلم أصل لمعنى واضح، ولكني اجتهدت وتوصلت إلى أنه يعني بذلك الربط بين النص و المدينية، ثم يذكر أن أهم مؤسسة دينية في الإسلام القبلي وجود ولي، توكل إليه المهام التي توصل لغاية واحدة وهي أن عقيدة رجال القبائل تحتاج إلى وساطة من قبل أولياء[٣]، أما المجتمع الحضري فمختلف تماماً، حيث أنها تقدم قاعدة جيدة لوحدانية طهورية سلفية نصوصية[٤]، وهذا غير صحيح فكما يوجد خرافات عند القبيلة كذلك هناك في المدينة من يصدق هذه الخرافات، كأمور السحر أو الممارسات الدخيلة أو الطقوس الدينية وغيرها، فهذا تعميم في غير محله وبلا مبرر، وقد شهد التاريخ بشخصيات مدنية ولغت في الفجور، يقابلها شخصيات عاشت في الصحراء بلغ بها الزهد والورع مبلغه، فيقول: "ولذا فإن الدين القائم على نصوص مقدسة يسهل بشكل أكبر على السكان الحضر وله مجال واسع بينهم"[٥].

٥. التشيع المتمثل بالثورة الإيرانية: ينتقد غيلنر على المذهب الشيعي وجود الطبقية التي كانت سبب معاناة المسيحية، فالثورة الإيرانية بحسب ما يرى غيلنر قدم بطريقة دينية سياسية، وذلك من خلال عدة عوامل ساعدتها وهي: ولاية الفقيه، كذلك قضية الغيبة مع غياب تنظيم إلهي تفصيلي للحياة الاجتماعية وانتظار الحقيقة حتى ظهور الإمام الغائب لذلك أوكلت المهمة للفقيه أو للعلماء في التشريع، وهذا أدى إلى فصل الدين عن الدولة عن طريق حرمان الحاكم وقت الغيبة من الحصول على شرعية دينية[٦]، مما يجعلها مع المسيحية وجهان لعملة واحدة ولكن برداء الإسلام، وهذا

١ مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، ص٢٤.
٢ أنثربولوجيات الإسلام، سامي زبيدة، ص٣٢.
٣ ينظر: المرجع السابق، ص٨٨-٩٠
٤ ينظر: المرجع السابق، ص٩١.
٥ مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، ص٥٦.
٦ ينظر: المرجع السابق، ص٩٣-٩٥.

صحيح فالشيعة على مر العصور تعتمد على مثل هذه الأفكار كغيبة الإمام وثارات الحسين والعصمة من خلال تهييج العواطف، فقد سبق الثورة الإيرانية ثورة العبيديين في العراق زمن العباسيين، والتي كانت وصمة عار شوهت التاريخ الإسلامي.

٦. الصوفية في الإسلام: يقول غيلنر أن الطرق الصوفية على شكل موسيقى أو رقص وغيره إنما هي تعزية أو هروب من الواقع المعاش، لأن في المعتقد تعويض نقائص الواقع، تأخذ ممارساتها من الثقافة المحلية أو الشعبية، ويذكر أنها ذات سلطة استبدادية شديدة، فالمريد لشيخه كالميت في يد الغاسل، ومثل لها بالطريقة السنوسية[١].

إن التصوف وليد التشيع، بل إن مؤسسي التصوف من الفرس الذين يمثلون عصبَ التشيع ودمَه الفوَّار، وكبار المتصوِّفة والمنظِّرين له من الفرس؛ كالبسطامي والحلاَّج، ويحيى بن معاذ الرازي[٢]، وغيرهم، والمطلع على حقيقة مذاهب الصوفية، وعلى حقيقة مذاهب التشيع يجد أن المذهبين ينبعان من أصل واحد تقريبًا،[٣].

٧. يرى غيلنر أن الثورة النفطية (مثالها المملكة العربية السعودية) مقيدة بقيود مفروضة عليها من قبل القانون المعياري (ويقصد به الفتاوى والأحكام الفقهية المتمثلة بهيئة كبار العلماء في المملكة)، فلو اقتصرت على آراء القرآن فإنها ستقيده بشكل أقل مما يقيده الإجماع الفقهي[٤].

أقول إن هذه القراءة كمن يدس السم في العسل، خصوصاً وأنها تدعو إلى التنصل من الأحكام الفقهية لموائمة عجلة التنمية، فهذه دعوى مركّبة من مقدمات خاطئة وشبهات باطلة تحتاج إلى تجلية وبيان، ليس هذا مجال بسطها، لأن الكلام في هذه المسألة يطول، فإطلاق القول بأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان أمر فيه نظر، "يقول الشيخ محمد بن إبراهيم: (وحكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان وتطور الأحوال، وتجدد الحوادث؛ فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، نصّاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك، علِم ذلك مَن علمهُ وجهله من جهله، وليس معنى ما ذكره العلماء من " تغير الفتوى بتغير الأحوال)[٥].

---

١ ينظر: مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، ص١٠٣-١٠٧.

٢ ينظر: مقال بعنوان الصلة بين التصوف والتشيع، بليل عبدالكريم، شبكة الألوكة على الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠/٣٦٩٤٩/

٣ ينظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن اليوسف، ص٤١٥.

٤ مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، ص١٣١.

٥ فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، محمد بن قاسم، ٢٨٨/١٢، وينظر أيضاً: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، مفرح القوسي،ص٢٦٩، وينظر أيضاً: http://majles.alukah.net/t١١٠٨٦٤/

٨. علاقة الاستشراق بالأنثروبولوجيا، يقول غيلنر:" أن المستشرقون يدرسون النصوص. والأنثروبولوجيون إلى دراسة القرى، وكنتيجة لذلك يميل المستشرقون إلى رؤية الإسلام من فوق والأنثروبولوجيون يرونه من تحت"[١]، أن الأنثروبولوجيا كالاستشراق نشأت لتحقيق مطامع الاستعمار، فالعلاقة بينهم علاقة تكامل.

٩. يخلص غيلنر إلى أن الإسلام دين تخطى جميع الحواجز الاجتماعية، وذلك لأنه يحكم بالكتاب والسنة (وحي مدون وليس مؤسسة)، كذلك مبدأ المساواة القائم على عدم وجود رجال دين[٢].

١٠. تكيف الحركات الإسلامية القديمة مع العصر الحديث: التشيع والتصوف، حركتان متطرفتان نسبياً، ونجحتا في التكيف مع الحداثة، بسبب الأداء الاقتصادي الرائع[٣]، ثم أخذ غيلنر يسرد شيئاً من تاريخهم التجاري ويحلل في ذلك، ولن أتطرق لذلك ولكن ما لفت نظري في هذه الجزئية هو قول غيلنر:" فالمستوطنون اليهود الفرديون في فلسطين دون تنظيم ما كان لديهم فرصة في البقاء أمام اعتراض العرب في البداية على الإطلاق...لقد كانت الصهيونية محظوظة بالاشتراكية"[٤]، وهذا صحيح، وذلك لأن الاشتراكية دافعت عن الصهيونية لتحافظ على طبقة العمال خصوصاً وأن اليهود منبوذين ومشردين ومضطهدين، إذن هي نوع من تبادل مصالح، فعندما وضعت الصهيونية قدمها على أرض فلسطين تحت شعار أرض يهودية، عمل يهودي، منتج يهودي، بدأوا بطرد الفلسطينيين من أعمالهم، فقاموا بإحلال عمال يهود محل العمال العرب، وتزايد عدد اليهود هرباً من الاضطهاد في شرق ووسط أوروبا، حتى تم إعلان عن قيامها كدولة على أرض فلسطين.

١١. يذكر غيلنر أن أهمية العلماء في الإسلام كونهم يمثلون الواجهة الظاهرة المفتوحة الرسمية والدائمة للإسلام، فهم المعيار والقدوة للأمة، وهم من يملكون مخزون الشرعية والذين يصدرون أحكامها[٥]، وهذا صحيح فهم فالعلماء ورثة الأنبياء، وقد أثنى الله تعالى عليهم في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، منها قوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ آل عمران [١٨] ويقول عز من قائل في موضع آخر: وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ

١ مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، ص١٩٧.
٢ ينظر: المرجع السابق، ص٢٠٠-٢٠١.
٣ ينظر: المرجع السابق: ص٢٠٦-٢١٥.
٤ المرجع السابق، ص٢١٩.
٥ ينظر: مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، ص٢٢٤.

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ.فاطر [٢٨]

كذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم:" فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر"[١]

والخلاصة: أن آرنست كان يسعى من خلال كتاباته عن المغرب أن يثبت أنه مجتمع انقسامي جامد، والحقيقة أن هذا التفسير أثبت قصوره الشديد في فهم البنيات الاجتماعية والسياسية للمجتمع المغربي[٢]، فالانقسامية تفسر السلوك الإنساني بإرجاعه إلى التأثير اللاشعوري لعوامل بنيوية، فيما تبين التجربة الميدانية أن المجتمع يعتمد أنماطاً ومداخل متعددة للتعاطي مع محيطه وظروفه وحاضره ومستقبله، فالمجتمع القبلي مجتمع يتصرف وفق قواعد تواصليه تعتمد التاريخ والذاكرة والمعرفة والحوار، فيما كانت المقاربة الانقسامية مقيدة برؤية بنيوية جامدة لا تعترف للتاريخ بأهميته[٣].

كليفورد غيرتز (Clifford Geertz)

المطلب الأول/ التعريف به:

ينظر غيرتز إلى الدين باعتباره نسقاً ثقافياً، وذلك من خلال خاصيتين أساسيتين هما: الأولى أهمية تحليل نسق المعاني الذي تنطوي عليه الرموز الدينية، الثانية علاقة هذه الأنساق ببناءات العمليات الاجتماعية والسيكيولوجية، بالرغم من أن معظم الاهتمام المعاصر مازال منصباً على الناحية الثانية دون الاهتمام بالناحية الأولى التي يرى أنها مازالت في حاجة إلى مزيد من الاهتمام والتعمق.

دراساته ومؤلفاته: قام غيرتز بعدد من الدراسات الأثنوجرافية في كثير من البقاع منها أندونيسيا ومراكش، بالإضافة إلى العديد من الدراسات والبحوث التي درات حول الأديان في هذه المناطق.

ومن بين أهم مؤلفاته:

- الدين في جاوه.
- مجتمعات قديمة ودول جديدة.
- الأسطورة والرمز والثقافة.

---

١ رواه ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث(٢٢٣)، ٨١/١، قال الألباني: صحيح.

٢ ينظر: الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين في المغرب، عبد الغني منديب، ص٥٣.

٣ ينظر: مقال عبدالله حمودي منتقداً الانقسامية، محمد الغيلاني، على الرابط: http://www.maghress.com/almassae/١٣٩٠٧

- مدخل انثربولوجي لدراسة الدين[1]، والإسلام من وجهة نظر علم الإناسة التطور الديني في المغرب وإندونيسيا، وهي المادة التي بين يدي سنأخذها بالعرض والنقد في المبحث القادم.

المطلب الثاني: موقف كليفورد غيرتز من الإسلام:

أولاً: عرض الكتاب:

سأستعرض موقف كليفورد غيرتز من الإسلام من خلال عرض ونقد كتابه (الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة التطور الديني في المغرب وإندونيسيا) سوف اكتفي الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب .

الكتاب من ترجمة الدكتور أبوبكر أحمد باقادر، ومن طباعة دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.

ثانياً: نقد موقف كليفورد غيرتز من الإسلام.

الفصل الأول

يتحدث عن تجربته التي أوردها في هذا الكتاب فيقول:" وأرجوا أن أناقش التغير الديني في قطرين عملت فيهما لفترة لابأس بها: أندونيسيا والمغرب، ويمثل كل من أندونيسيا والمغرب في الواقع ثنائيا شاذا....وأكثر عناصر التشابه بينهما هو انتماؤهما الديني ولكنه أيضا من وجهة نظر ثقافية على الأقل أكثر العناصر اختلافا"[2]، أندونيسيا تقع في أقصى الشرق، والمغرب في أقصى الغرب، لذلك فلا جامع بينهما غير العنوان الإسلامي.

١. التاريخ الديني للمجتمع المغربي والأندونيسي:

أولاً: المجتمع المغربي: ذكر غيرتز أن اتصال الإسلام بالمغرب عسكرياً في عهد الأمويين، وبحلول منتصف القرن الثامن عشر أصبح للإسلام في المغرب قاعدة قوية، وانتشرت فيها الدول الإصلاحية واحدة تلو الأخرى: المرابطون فالموحدون فالمرينيون، والفترة التي تشكل فيها المغرب كأمة دينها الإسلام قامت فيها عملية إعادة بناء مجتمع قبلي متداع ضمن مجتمع زراعي وحضري وانتعشت أطراف القطر والأجزاء الطبيعية القاسية خالقة بذلك مجتمعاً متطوراً في مركزه، ولكن مع مرور الزمن أصبح هناك فرق بين الحرفيين من العمال والعلماء والتجار الذين في المدينة، من خلال الاستقرار المدني

---

١ ينظر: أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي المعاصر، محمود أبو زيد،١٣/٢.
وينظر أيضاً: http://cutt.us/٧ZNQ١

٢ المرجع السابق،ص١٦.

بعكس الحياة القبلية، فهما مجتمعين مختلفين متفاعلين تحت نظام نسق واحد، ومتحولين بسبب التغيرات المستمرة في الوجه السياسي الذي تختفي تحته الهوية الاجتماعية، وظهور الأولياء المحليون رؤساء الطرق الصوفية، فصورة الشخصية المؤثرة في المجتمع المغربي هي الولي المقاتل المحارب، وهذه هي السمة المميزة للمغرب[1].

ثانياً المجتمع الإندونيسي: يرى غيرتز أن أندونيسيا مجتمع مختلف تماماً عن المغرب، وذلك لأن المجتمع الأندونيسي مجتمع فلاحي، لذلك فالشخصية المؤثرة هنا هو الفلاح النشيط المستقر الذي يعتني بزراعة أرضه ويسترضي جيرانه ويخدم أسياده، كذلك الحضارة الأندونيسية قامت على أسس هندوسية لا إسلامية، فالإسلام عندما انتقل إليها كانت تهيمن عليها الهندوسية البوذية، ومرت بمراحل متعددة، فالإسلام في أندونيسيا لم يشكل حضارة جديدة إنما استولى على حضارة قائمة، أيضاً الإسلام جاءها من الهند ولم يأتها مباشرة من جزيرة العرب، وباستعمار الهولنديين لها أصبح هناك تنوع ثقافي وديني، فتكون دين شعبي يستوعب الأديان الهندية والأشباح والفلسفة وغيرها[2].

الخلاصة: الدين بالنسبة لغيرتز ظاهرة ثقافية واجتماعية ونفسية أي ظاهرة إنسانية، ولذا فهو مهتم بالتغيير والتحول في الظاهرة الدينية، وليس بالنص الديني أي الإسلامي، ويعني بذلك أن الأديان تتغير وتتبدل من حيث هي ظواهر وإن بقيت نصوصها واحدة ثابتة، فلا يوجد هناك مسمى مجتمع عالمي؛ فتبقى عالميتها دعوى ورغبة وطموح!! وليست حقيقة أو واقع، فالواقع المعاش هو الظاهرة الدينية المتبدلة تبعا لتبدل المجتمع، أو هو اعتقاد من جانب المتدينين يستبدلون به الواقع[3].

ويدل على عالمية الإسلام أدلة كثيرة، سنذكر شيئاً منها:

الأدلة من القرآن: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ الأنبياء [١٠٧] وقوله: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** الأعراف [١٥٨]

فهذه الآيات وغيرها ذكر ابن كثير أنها: (خطاب للناس جميعًا الأحمر والأسود، العربي والعجمي، وهذا من شرفه وعظمته –صلى اللَّه عليه وسلم–؛ لأنه خاتم النبيين، وأنّه مبعوث إلى الناس كافة)[4].

١ المرجع السابق، ص١٧–٢٠.

٢ ينظر: المرجع السابق، ص٢٠–٢٢.

٣ مقال: مراقبة الإسلام التطور الديني في المغرب و أندونيسيا، رضوان السيد، مجلة الاجتهاد، ص٢٩٠.

٤ ينظر: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق السعدي، ٦١٨/٢.

والأدلة من السنة: قوله –صلى اللَّه عليه وسلم–: "أعطيتُ خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي"[1] وذكر منها: "وبعثتُ إلى الناس عامَّة"، ومنها قوله –صلى اللَّه عليه وسلم–: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع
بي أحدٌ من هذه الأمَّة يهودي ولا نصراني، ثمَّ يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلَّا كان من أصحاب النار"[2].

كذلك مما يؤكد عالمية الإسلام ماشهد به بعض المستشرقين، والحق ماشهدت به الأعداء، فقد قال برنارد شو في سياق حديثه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم رسول الإسلام: "لو كان محمدٌ بيننا لحلَّ مشاكل العالم وهو يتناول فنجان قهوة، لا بد أن نُطلِق عليه لقب منقذ الإنسانية، وأعتقد لو وُجد رجلٌ مثله وتولى قيادة العالم المعاصر لنَجح في حلِّ جميع مشاكله بطريقة تجلب السعادة والسلام المطلوبين"[3].

الفصل الثاني:

ذكر غيرتز أن التصوف يغلب على المجتمعين المغربي و الأندونيسي، ولكن التصوف يختلف في الحالتين، وساق لذلك مثالين أو شخصيتين هما:

الأولى/ الشخصية الأندونيسية سونان كاليجا، رجل حضري من منبت ارستقراطي، روحاني متقلب ظاهريا بحسب ما تتطلبه الأوضاع الجديدة، متشبث محافظ بعقائده الداخلية، ويعتبر أحد أهم الأولياء الذين قد أدخلوا الإسلام بمفردهم دون اللجوء إلى القوة، فهو كشخصية تاريخية بطل يحتذى به، وذلك لأنه استطاع نقل مجتمعه من ظل الأزمة الهندوسية إلى الإسلامية الشرعية[4]، ثم أخذ يستطرد في سرد شيئا من التحولات الاجتماعية التي مر بها هذا الرجل.

الثانية/ الشخصية المغربية أبو علي بن مسعود اليوسي، وهو شخص بسيط من رجال القبائل البسطاء يحاول أن يرفع نفسه فوق أصوله، وأنه قد اكتسب البركة من الشيخ محمد بن ناصر أحد شيوخ الصوفية في قصة خيالية، حتى أنه أستطاع أن يكون ذا نسب شريف يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم، حتى أصبح هذا الرجل يملك البركة، وأخذ يسرد شيئا من تاريخ هذا الرجل[5].

---

١ رواه البخاري، كتاب التيمم، رقم الحديث(٣٣٥)، ١/٧٤.

٢ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم الحديث(٢٤٠)، ١/١٣٤.

٣ عالمية الإسلام، البراء بركة، شبكة الألوكة على الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠/٩١٤٦٣/

٤ ينظر: الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة، كليفورد غيرتز، ص٣٥–٣٨.

٥ ينظر: المرجع السابق، ص٣٨–٤٣.

الخلاصة من هذا السرد الممل يريد غيرتز أن يوصل للقارئ الطريقة أو الكيفية التي يفهم بها الأندونسيون والمغاربة الإسلام، فعندما يصف نظرة الأندونيسيين للحياة بقوله النزعة الباطنية وهدوء الطبع والصبر والاتزان والحساسية والنزعة والنخبوية وإفراط في تحقير الذات، وفي الجانب المغربي يقول تظهر فيهم خصائص النشاط والحماس والطيش والتهور وهوس إفراط التأكيد على احترام الذات والسعي إلى تضخيم النزعة الفردية..، كل ما سبق من مصطلحات لا تخبرنا شيئا البته عن التصورات والمفاهيم الأساسية عن الحياة التي من خلالها يمكننا فهم الدين، خصوصا وأن مثل هذه الخصائص يمكن تجدها في أي شخص في العالم[1].

ثم عندما نتحدث عن الطقوس الإسلامية كالصلوات مع الحياة اليومية(فهو يشترط دراسة الحياة الاجتماعية مع الدين)، فإننا نجد رموز مقدسة مثل الله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم والدنيا والآخرة وغيرها، ومع ذلك لم يناقشها غيرتز أبداً بل التفت إلى الأولياء والبركة والنسب الطاهر كل ذلك من أجل أن ينتزع مفهوم البركة من النسق الديني الذي يشتق منه المفهوم الذي يشبهه بالخصائص الشخصية والصفات الوراثية المختلفة عند الأفراد، فيقول أن المعنى الأساسي للبركة ينتهي إلى فكرة أن البركة منحة أو هبة لأشخاص معينين[2].

أقول أني قد توصلت –لا أعلم عن صحة ما توصلت إليه – أنه يريد من ذلك أن ينفي العصمة عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة غير مباشرة، من حيث أنه بإمكان أن يحصل على البركة مثل ما كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم.

وعصمته صلى الله عليه وسلم تتناول جوانب عدة من أهمها: العصمة في التبليغ ودعوى الرسالة، فتبليغ شرع الله إلى الخلق هي مهمة الرسل من أولهم إلى آخرهم فهم الواسطة بين الله وبين خلقه الذين أرسلوا إليهم، ولذلك فقد أوجب الله العصمة لأنبيائه ورسله في هذا الجانب حتى تصل الرسالة إلى العباد كاملة تامة غير منقوصة ولا محرفة، وبذلك تقوم الحجة على العباد قوله تعالى: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ "النجم [٣، ٤]

وقوله سبحانه: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ " الحاقة [٤٤–٤٧]

١ ينظر: انثروبولوجيا الإسلام، أبو بكر باقادر، ص٥٠٣.

٢ ينظر: المرجع السابق، ص٥٠٤–٥٠٥.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق"[1].

الفصل الثالث:

يذكر غيرتز أنه لاحظ أن أندونيسيا والمغرب يتخذان من الإسلام هوية جامعة أو محددة؛ لكنهما من الناحية الثقافية مختلفان تماماً، ويقول أن الإسلامية النصوصية أو السلفية أو الأصولية ظاهرة واحدة من ظواهر متنوعة داخل إسلام البلدين، ويلاحظ أن الإشراقية في أندونيسيا والمرابطية في المغرب تمثلان تلاقي وسطي بين الإسلام النصي، والتقاليد الموروثة مما قبل الإسلام، ولكن من الصعب معرفة الحدود بين الأمرين وذلك لأن التقليد الرئيسي فقد سيادته وهذا ما أكسب الاتجاه النصي أو السلفي أو الإسلام السياسي قوته اليوم، ففي المغرب اليوم توجد صورة أمير المؤمنين فتخف حدة الإيديولوجية بخلاف أندونيسيا التي فقدت عنصر القداسة التاريخية ولذا يتصاعد الإيديولوجي السياسي بشكل أكبر، ومنذ القرن التاسع عشر أدرك المفكرون المسلمون ذلك فحاولوا تجاوزها بالحركات الإصلاحية[2]، أما ماهو مستقبل الإسلام في هذين القطرين فهو أمر غير واضح لعدم وجود حركات إصلاحية، ولكن النصوصية أو الأصولية ستبقى في موقف المرحب بالحداثة[3].

بعد هذا السرد لي وقفة على بعض النقاط في هذا الفصل:

ذكر غيرتز أن الدين ليس ماهو إلهي، ويعني بذلك أن الدين صناعة بشرية، أقول إن الدين الخاتم هو دين الإسلام، وهو الدين الباقي إلى قيام الساعة، وقد ارتضاه الله ديناً للبشرية جمعاء، قال عز من قائل: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.آل عمران [٨٥]

فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، لا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر"[4]، والإسلام لم

١ رواه أبي داوود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، رقم الحديث(٣٦٤٦)، ٣١٨/٣، قال الألباني: صحيح.

٢ ينظر: مراقبة الإسلام، رضوان السيد، مجلة الاجتهاد، ص٢٩١-٢٩٢.

٣ الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة، كليفورد غيرتز، ص٩٥.

٤ رواه أحمد، مسند الشاميين، حديث تميم الداري، رقم الحديث(١٦٩٥٧)، ١٥٤/٢٨.

يُعْطِ سلطة التغيير في الدين لأحد، ولا حتى للرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. المائدة [٦٧]

وقال تعالى في إجابة الكُفَّار الذين طلبوا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تبديل بعض الآيات وتغييرها: وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. يونس [١٥] والإسلام هو الدين الوحيد الذي ارتضاه الله لخلقه وربط به هدايتهم وحكم على من ابتغى غيره من الأديان بالخسارة. إن النظم القائمة اليوم عدا دين الإسلام لا تخرج عن أحد هذه الأصناف:

- منهج مدني بشري خالص. فهو مدني لأنه نظام حياة دنيوية؛ يُعنى بتنظيم حياة الإنسان الدنيوية وتحقيق مصالحه وفق ضوابط وقيود دنيوية، وبشري لأن مصدره البشر، أفرادًا أو جماعات، فهو نتاج تفكير الإنسان واجتهاده وتنظيره، ومن أمثلتها (العلمانية، الشيوعية، الرأسمالية، الوجودية)
- منهج ديني بشري، فهو ديني لأن فيه القيام بأداء طقوس تعبدٍ وتألهٍ يؤديها الإنسان لمألوه أو لعدد من الآلهة؛ من بشر وحجر ومال وهوى وشهوة وغير ذلك، وقد لا يكون فيها صلاح حال هذا الإنسان ولا تنظيم حياته؛ وإنما طقوس غامضة أو مرعبة.
- منهج ديني محرف، فهو إلهي في الأصل، وله كتاب سماوي من عند الله عز وجل، ولكن دخله التحريف والتبديل، والحذف والزيادة، فاختلط فيه كلام الله تعالى بكلام البشر وأهوائهم (اليهود، النصارى).

هذه هي المناهج القائمة بين يدي البشر على وجه الأرض، ويبقى الإسلام وحده بصفائه ونقائه وسموه وكماله من بين سائر المناهج والأديان هو القادر على البقاء في خضم الصراعات الثقافية والفكرية والحضارية؛ لأنه يمتلك خصائص تؤهله لذلك"[١]، ويكفي وعد الله العليم الخبير القوي القادر بأن العاقبة للمتقين، يقول جل وعلا:{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)}التوبة [٣٢، ٣٣]

١ الخصائص العامة للإسلام، إبراهيم الريس، شبكة الألوكة على الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠/١٨٧٧٣/

٢/ قوله الأصولية أو السلفية أو النصية، نعته للإسلام بالأصولية بمعنى الإرهاب أقول:

إن مصطلح الأصولية الإسلامية لا أصل له في الفكر الإسلامي، فقد ظهر في الغرب مع بدايات القرن العشرين، لقد كانت الأصولية من أولى القضايا التي ألحقت بالإسلام زوراً، وابتدعها الغرب من لتجريم العالم الإسلامي والعربي ويعني بها التجريم والإرهاب والوحشية والدموية ومجافاة التحضر وفق معناها الكنسي في القرون الوسطى، ويظل يتعقب النافرين منه بإعلان الحرب عليهم، ويشهد التاريخ الإسلامي أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجدد من نفسه وفق مبدأ التجديد أو الإصلاح المستمر بالاجتهاد في الشريعة الإسلامية[١].

وقد عرّف المجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي الإرهاب بأنه: العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول، بغياً على الإنسان؛ دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم؛ بإيذائهم"[٢].

ويستخلص في ضوء ما سبق الإسلام برئ من هذه المعاني الباطلة فهو يحافظ على عرض المسلم ودمه وماله، ومن أجل ذلك كان تحريم القتل والسرقة والزنا والقذف، وجعلت الحدود المغلظة على من ارتكب تلك المحرمات، وقد جاءت العقوبة مغلظة لمن أرهب الناس وأخافهم وقد حكم الله عليهم بأشد العقوبات كفّاً لشرهم، وحفظاً لأموال الناس ودمائهم وأعراضهم[٣].

١ رواه أبي داوود في سننه، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث٤٢٩١، ١٠٩/٤، قال الألباني: صحيح.

٢ رابطة العالم الإسلامي، المؤتمر الإسلامي العالمي الإسلام ومكافحة الإرهاب، البيان الختامي للمؤتمر٢٠١٥/٢/٢٥م، على الرابط: http://cutt.us/qqoe

٣ مصدر سابق: https://islamqa.info/ar/١١٧٧٢٤

الخـــاتـــمة:

فأشكر الله جل وعلا على أن منَّ عليَّ بتيسير إتمام هذا البحث، وقد توصلت فيـــه إلـــى النتائج التالية:

- علم الإنثروبولوجيا ويعني دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً.
- يعتبر القرن الثامن عشر هو النشأة الحقيقة لعلم الإنثروبولوجيا.
- العلاقة بين الإنثروبولوجيا علاقة تكاملية.
- الإنثروبولوجيا من العلوم المهملة على الساحة العربية.
- علماء الإنثروبولوجيا كُثُر وليس فقط ما أوردته في هذا البحث، ولكـــن لـــضيق الوقت وشح المراجع وكون مثل هذه البحوث تحتاج إلى إجادة اللغة الإنجليزيـــة اقتصرت على ما هو بين أيديكم:

- كلود ليفي ستروس و كليفورد غيرتز: واللذان يظهران العداء للإسلام.
- آرنست غيلنر: وهو أقل عداءً من سابقيه.

وأوصي بتوصيات في ختام هذا البحث:

- إجراء البحوث العلمية حول هذا الموضوع.
- إنشاء مركز دراسات خاصة بالإنثروبولوجيا.
- إنشاء مكتبة توفر فيها كل ما يخص هذا العلم.
- إنشاء قسم خاص في الجامعات لدراسة هذا العلم.

المراجع والمصادر:

- العلمانيون فى مواجهة الإسلام ، محمد يوسف عدس، شبكة فلسطين للحوار على الرابط: https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=٨١٤٤٦٥
- إثنولوجيا الإسلام في مداريات حزينة لكلود ليفي سترس، لطفي بوشنتوف، ٦ أكتوبر ٢٠١١، مجلة رباط الكتب الإلكترونية على الرابط:http://cutt.us/WzEj
- الإسلام شفاء للبشرية ورحمة للعالمين، على الرابط: http://www.islamdoor.com/k/shifa.htm
- الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة التطور الديني في إندونيسيا والمغرب، كليفورد غيرتز، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، الناشر دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى/١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- الاعتقاد الصحيح بشأن كرامات الأولياء وحكم التبرك بالصالحين، مركز الفتوى إسلام ويب على الرابط: http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=١٧٢٩٥٣
- أعلام الفكر الاجتماعي والإنثربولوجي الغربي المعاصر، محمود أبو زيد، الناشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- أمور معينة على الرزق، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف، على الرابط: http://www.awqaf.gov.ae/Fatwa.aspx?SectionID=٩&RefID=٧٣٨٧
- أنثربولوجيات الإسلام، سامي زبيدة، ص٣٢، أنثروبولوجيات الإسلام مناقشة ونقد لأفكار إرنست غلنر، سامي زبيدة، الناشر دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م.
- أنثروبولوجيا التربية علم في طور الارتقاء، علي أسعد وطفة، موقع انتروبوس على : http://cutt.us/K٦yQ١
- الأنثروبولوجيا والاستعمار، جيرار لكلرك، ترجمة جورج كتورة، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية/ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- التبرك بآثار النبي _صلى الله عليه وسلم_ بعد موته، شبكة المسلم على الرابط: http://www.almoslim.net/node/٥٣٩٧١
- التطور الديني في المغرب وإندونيسيا (مراجعة لكتاب كليفورد غيرتز: Islam Observed) ، بمجلة الاجتهاد ، العدد ٥١/٥٠ السنة الثالثة عشرة، ربيع وصيف ٢٠٠١ ، ص ٢٨٩ – ٢٩٤

- تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، راغب السرجاني، موقع قصة إسلام على الرابط: http://cutt.us/bINd
- تقرير عن الاستعمار بإشراف الدكتور: خالد القاسم، ويكيبيديا الإخوان المسلمين، على الرابط: http://cutt.us/QX٢iT
- حكم الربا في الإسلام، على الرابط:http://cutt.us/jVJWD
- حكم تحطيم الأصنام، مركز الفتوى، إسلام ويب على الرابط: http://cutt.us/eAQ٢٣
- الحكمة من خلق البشر، محمد المنجد، الإسلام سؤال وجواب على الرابط: https://islamqa.info/ar/٤٥٥٢٩
- الخصائص العامة للإسلام، إبراهيم الريس، شبكة الألوكة على الرابط: /http://www.alukah.net/sharia/٠/١٨٧٧٣
- دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق السعدي، ٦١٨/٢، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق عبدالله السعدي، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى/ ١٤٣٤هـ-٢٠٠٣.
- دفاتر إنثربولوجية – سير وحوارات، عبدالله يتيم، بدون بيانات نشر.
- الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين في المغرب، عبد الغني منديب، ص٥٣، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين في المغرب، عبد الغني منديب، الناشر أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م.
- رابطة العالم الإسلامي، المؤتمر الإسلامي العالمي الإسلام ومكافحة الإرهاب، البيان الختامي للمؤتمر٢٥/٢/٢٠١٥م، على الرابط: http://cutt.us/qqoe
- السحر تعريفه وأنواعه وآثاره، إسلام ويب على الرابط: http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=١٣٧٠
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين، الناشر المكتبة العصرية، بيروت.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير، الناشر دار طوق النجاة، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢ه.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صراع الغرب مع الإسلام، مازن مطبقاني، ص١١٦. صراع الغرب مع الإسلام، آصف حسين، ترجمة مازن مطبقاني، الناشر دار الوعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية، رضوان السيد، ص١٠٦، الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية، رضوان السيد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى/١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.
- عالمية الإسلام، البراء بركة، شبكة الألوكة على الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠/٩١٤٦٣/
- عالمية الإسلام، بدر هميسه، صيد الفوائد على الرابط: https://saaid.net/Doat/hamesabadr/١٧٤.htm
- عبدالله حمودي منتقداً الانقسامية، محمد الغيلاني، على الرابط: http://www.maghress.com/almassae/١٣٩٠٧
- عسل ورماد عن مئوية ليفي ستروس، الدكتور محمد البرهان، ٢٥ فبراير ٢٠١٢م، جريدة هسبريس الإلكترونية على الرابط: http://www.hespress.com/writers/٤٨٣٥٢.html
- علم الاجتماع الاستعماري الأنثروبولوجيا نموذجاً، منتدى التوحيد، على الرابط: http://cutt.us/ZjYA
- علم الأنثروبولوجيا Anthropology ماهيته والانتقادات الموجهة إليه، أحمد إبراهيم خضر، شبكة الألوكة http://www.alukah.net/web/khedr
- العلم في الإسلام، محمد المنجد، الإسلام سؤال وجواب على الرابط: https://islamqa.info/ar/١٠٤٧١
- عمارة الأرض وعبادة الله، محمد القصاص، صيد الفوائد، على: https://saaid.net/Doat/alkassas/١٩٠.htm
- عن الإنثروبولوجيا، موقع انتروبوس، على الرابط: http://www.aranthropos.com/anthropologie
- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، محمد بن قاسم، ٢٨٨/١٢، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، محمد عبدالرحمن بن قاسم، الناشر مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى/ ١٣٩٩ه.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر، ١.٣٩٣/٧ http://cutt.us/٧ZNQ
- الفروق، أحمد بن ادريس المالكي الشهير بالقرافي، الناشر عالم الكتب، بدون طبعة.
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، مكتبة وهبه، مصر، الطبعة العاشرة.

- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن اليوسف، ص٤١٥، عبدالرحمن عبدالخالق اليوسف، الناشر مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثالثة/ ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.
- قاموس الأنثروبولوجيا، شاكر مصطفى سليم، الطبعة الأولى/ ١٩٨١م.
- قصة الأنثروبولوجيا، حسين فهيم، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن أبي شيبه، كتاب الأوائل، باب أول ما فعل ومن فعله، رقم الأثر(٣٥٧٨٨)، ٢٥١/٧، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبدالله بن أبي شيبه، تحقيق كمال الحوت، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٠٩ه.
- كواشف زيوف، عبدالرحمن بن حبنكة، ص١٧١، ، الناشر دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية/١٤١٢ه-١٩٩١م.
- لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر الخطيب، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشر/ ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.
- مائويّة كلود لفي-ستروس (٩) المداران الحزينان: بكائيّة الهنود الحمر وصدمة اللّقاء مع الإسلام، الجمعة ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٨، محمد الحاج سالم، صحيفة الأوان الإلكترونية على الرابط:http://alawan.org/article٣٢٦٣.html
- مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، الناشر دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى/٢٠٠٤م.
- مجتمع مسلم، آرنست غيلنر، مجتمع مسلم، إرنست غيلنر، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، الناشر دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى/٢٠٠٤م.
- مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق عبدالرحمن بن قاسم، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦ه-١٩٩٥م.
- مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، عيسى الشماس، ص٤، الناشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م.
- مراقبة الإسلام التطور الديني في المغرب و أندونيسيا، رضوان السيد، مجلة الاجتهاد، ص٢٩٠.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١١ه-١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

- الصلة بين التصوف والتشيع، بليل عبدالكريم، شبكة الألوكة على الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠/٣٦٩٤٩/
- هل يشكل الإسلام خطرا على الغرب؟، عبدالله النفيسي، موقع المقالات إسلام ويب، على الرابط: http://cutt.us/x٤VWc
- من حضارتنا في الهند، حسن مؤنس، موقع إسلام ويب على الرابط: http://cutt.us/GFUS
- من صور تكريم الإسلام للمرأة، محمد الحمد، شبكة صيد الفوائد على الرابط: http://www.saaid.net/female/m١٠٣.htm
- موسوعة الفرق، الدرر السنية، على الرابط: http://www.dorar.net/enc/firq/١٦٠٢
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري على الرابط: http://www.elmessiri.com/encyclopedia/MAIN.HTM
- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، مفرح القوسي،ص٢٦٩، ، الناشر دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.
- مئوية كلود ليفي ستروس، كتب خانة على الرابط: http://kenanaonline.com/users/books/posts/١٣٧٦٩٥
- هل للسحر حقيقة ؟ وهل يجوز التداوي عند السحرة ؟، محمد المنجد، الإسلام سؤال وجواب على الرابط: https://islamqa.info/ar/١٢٥٧٨
- الوهابية، محمد الابراهيم، صيد الفوائد على الرابط:
- http://www.saaid.net/monawein/m/٩.htm
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الرابط: http://cutt.us/ksjll
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الرابط: http://cutt.us/R١Q٢b